آثار الفينيقيين في افريقية

الآثار في تونس

يظهر من الآثار التي كشفها الفرنسويون في جهات تونس والايطاليون في جهات طرابلس الغرب ان المضريين والفينيقيين عمّروا تلك السواحل منذ عهد بعيد وانشأ الفينيقيون فيها مدنًا من اعظم مدائن العهد القديم . وانى بعدهم الرومانيون والفندال

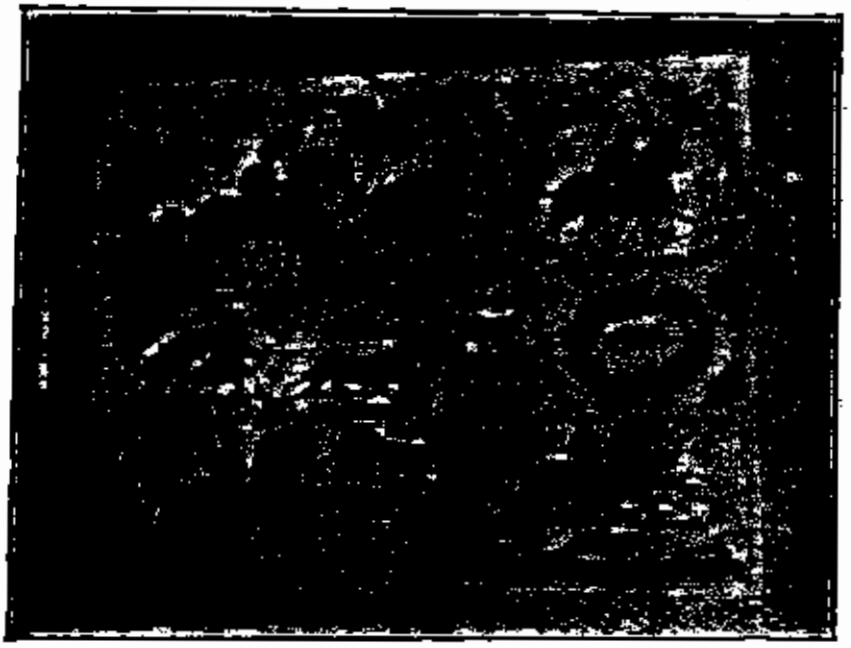

مثال من الفسيفساء التي عُثر عليها

والبزنطيون والعرب. وترى الآثار متراكمة بعضها فوق بعض كأنها فصول من كتاب تاريخي. لكن التاريخ نفسهُ لم يهمل اخبار تلك الامم واوصاف عمرانها ولاسيما الفينيقيين وعاصمتهم قرطاجنة التي حاربت رومية محاربة خصم عنيد لخصم عنيد فقد كانت عاصمتهم عظيمة يقدَّر عدد سكانها بسبعمائة الف نسمة الى مليون يحيط بها سور ارتفاعهُ من خمسين قدمًا الى ستين وعرضهُ ٣٠ قدمًا فيهِ مخادع لثلاثمائة فيل واربعة آلاف فرس واربعة

الآلهة المخصبة

الآلهة النصر

وعشرين الف محارب . وكان في بعض مبانيها سبع طبقات ولمتانتها بقي بعضها قائماً بعد ان اضرم الرومان النار فيها ١٦ يوماً متوالية . وقد اثبت التنقيب عن انقاضها الآن ان ما فعلهُ الرومان وما فعلتهُ القرون التالية بعدهم لم يتمكنا من محو آثارها لان الرمال والاتربة التي تراكمت فوقها وقتها من انياب الدهر وايادي الخربين . وقد نشرنا منذ سنتين (في مقتطف فبراير ١٩٢٣) مقالة مسهبة في وصف ما كشف من آثار قرطاجنة الى ذلك الحين وقرأنا في الربيع الماضي مقالةً بديعة للجمعية الكونت بيرون كهن ده برورك بعد ما اشتغل في التنقيب هناك اربع سنوات قال فيها ان الآثار التي عيَّن الاب دلتر مواقعها اتممنا التنقيب عنها واتممنا ايضاً ما شرع فيهِ جول رنو فنقبنا طبقات كثيرة من الاتربة حتى وصلنا الى مدافن عربية وكنيسة مسيحية وصهاريج رومانية واما كن اراضيها مرصوفة بالفسيفساء وتحتها مدافن فينيقية من قبل المسيح بسبعمائة سنة

ومن ابدع ما كُشف من تلك الآثار هيكل المعبودة تنيت حيث كان القرطاجنيون يقدمون الذبائح البشرية لهذه المعبودة عمون فقد وجدنا هناك مئات من الحقق وفيها عظام اولاد سنهم بين الرابعة والثانية عشرة كانوا يُحرَقون احياء ووجدنا اسم كلٍّ منهم منقوشاً على بلاطة فوق حفرتهِ واعمق ما وصلنا اليهِ في التنقيب مذابح مصرية ووجدنا فيها صفائح من الفضة عليها صور ابي الهول (السفنكس) وعوداً زرقاء تمثل عين المعبود اوسيريس وكتابات هيروغليفية تدلُّ دلالة قاطعة اما على اتصال القرطاجنيين بالمصريين الاقدمين (او على ان المصريين كانوا هناك قبلهم) . وان بعل عمون المعبود الفينيقي هو نفس عمون رع المعبود المصري . والصحائف التي وجدناها كُتب عليها بالقلم الفينيقي ما ترجمتهُ (الى قداسة تنيت وجه بعل والى السيد بعل عمون تقدمة عبادة قدمها حدرو بعل بن صفو لانهُ سمع صوت الالهة المباركة) .

ووجدنا تحتاً بديعة بالتنقيب في الجهة الشمالية من القلعة فان هناك حقولاً يزرع فيها الحشحاش وتل من الآجر فلم نكد نشرع في التنقيب حتى وصلنا الى سطح قصر روماني فيهِ سبع غرف اراضيها مرصوفة بالفسيفساء من العصر الروماني الاول وهناك مئات من قطع الحجارة عليها كتابات مختلفة وتماثيل مكسرة ومصابيح افريقية مما كان يستعمل قبل التاريخ المسيحي بمائة سنة الى ثلاثمائة سنة . ومما هو حريٌّ بالذكر اننا وجدنا تحت هذه الغرف خرائب فينيقية نزلنا فيها الى عمق ٩٠ قدماً فثبت لنا منها ان قرطاجنة القديمة لم تعفُ آثارها

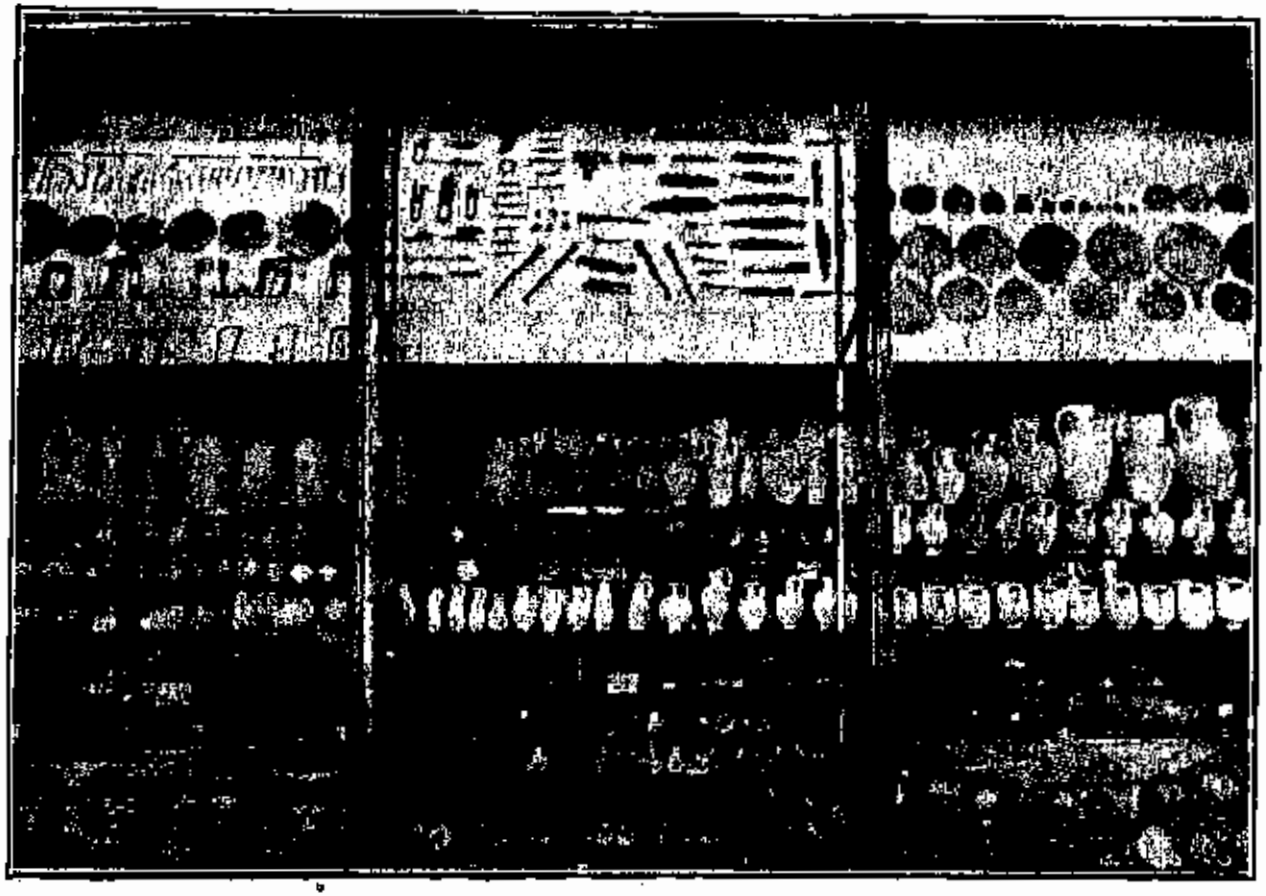

آلات جراحية ومواسي ومرايا من البرونز واسلحة رومانية وقرطاجنيه وفندالية وبزنطية ومقصات وخواتم ومصابيح
من عصور مختلفة ورضّاعات للاطفال وحقق للعطور

والمرجح ان بعض الآثار التي على تل يرنو هي من بقايا حمامات غرجيلوس المشهورة حيث التأم المجمع القرطاجني سنة ٤١١ للميلاد وهناك غرفة وجدت فيها حناجر طيوب واساور ذهب ودبابيس عاج لشعر ومرايا من البرنز ومقارض للاظافر واميال من العاج لتزجيج الحواجب وكثير من الزجاج الذي قُعلت به الايام فصارت الوانهُ كعنق الحمام

وكشفت ادارة العاديات في رأس قرطاجنة قبوراً فينيقية نجت من نار الرومانيين وبعضها منقور في الصخر على عمق ثلاثين قدماً وهناك اجسام محنطة ومعها حلى اصحابها وكتابات وصور دينية وعند باب القبر صور قبيحة تخويفاً للارواح الشريرة

وفي مدة اربعة اشهر وجدنا ٥٠٠٠ قطعة من نقود الذهب والفضة والنحاس ووجدنا ايضاً حلى من الاساور والخواتم فصار متحف قرطاجنة الآن مثل اغنى المتاحف بما فيهِ من التحف القديمة النادرة ومن اغرب ما فيهِ نظارات (عوينات) وجدت في قبر فينيقي من القرن الثالث قبل التاريخ المسيحي وتمثال من الخزف يمثل الارغن وحق للاذهان الحمراء التي تحمَّر بها الوجوه ومواعي من البرز ورضاعات وجدت في قبور الاطفال

ويظهر من بحثنا ومما هو وارد في التواريخ القديمة ان قرطاجنة الرومانيين لم تبنَ حيث كانت قرطاجنة الفينيقيين وذلك مطابق لما قالهُ شبيو Scipio عن قرطاجنة وهو «ملعون وملعون مرتين كل من يعيد بناءها». فاني رأيت من النقب قرب راس كامرت وبطائح سكربا انقاضاً قد تقضي الى كشف آثار مهمة ولاسيما ان هناك اثار ستة ابراج قديمة يظهر انها كانت منائر لمرفإ المدينة فظركل منها ١٥ قدماً تحضرم النيران على رؤوسها لارشاد السفن ليلاً الى الامكنة التي ترسو فيها ووجدت تحتها آثار سور عرضهُ ١٥ قدماً تتبعتها مسافة ميل ونصف وهو قديم جداً مبني بحجارة ضخمة قد يكون جانباً من رصيف المرفإ القديم الذي كانت ترسو فيهِ اساطيل قرطاجنة

ومن الآثار القديمة التي عثرنا عليها آبار ماء عذب عمقها خمسون قدماً نزلت الى بعضها فوجدت ان ماءها جارٍ جرياً بطيئاً دلالة على انها متصلة بنهر تحت الارض ولا بدَّ من ان تكون هذه الآبار من عهد القرطاجنيين ثم طويت وجهلها الرومان فاضطروا الى انشاء قنوات لجر الماء انفقوا عليها نفقات طائلة

وقد انتبه برنس ولبك للبحث عن مرفإ قرطاجنة بتصوير البحر وهو راكب طيارة تعلو عنهُ الف قدم فظهرت في الصور آثار مبانٍ على ثلاثين قدماً تحت سطح الماء و٣٠٠ قدم من الشاطىء . ومما كشف بالطيارة هناك السفينة الرومانية التي كانت تقل كثيراً

من الكنوز اليونانية وتدغرقت قبل التاريخ المسيحي بمائة سنة وكان مستخرجو الاسفنج قد راوها فاذنت لي ادارة العاديات ان استخرج ما استطيع استخراجهُ منها من آثار الفن اليوناني وكان بعض هذه الآثار قد استخرج قبل الحرب ويرى الآن في متحف تونس

تمثال لكاهنة ارستبعل كان غطاء للتابوس الذي في اسفل الصورة ولا تزال فيهِ بقايا هذه الكاهنة من ايام عبادة تنيت وبعل ويحسب التمثال ابدع مثال للفن الفينيقي

ثم توالى البحث في خليج تونس حديثاً عن السفن الخمسمائة التي غرقت هناك في الحروب مع قرطاجنة . وسنأتي في الجزء التالي على وصف الآثار الفينيقية التي كشفها الايطاليون في طرابلس الغرب